Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (1) (March, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) العدد 1 مارس 2026
ردمد: 3135-2359

الفنون التشكيلية المعاصرة في ظل التحول الرقمي
مقاربة تحليلية في جدلية التقنية والجماليات

البتول يوسف عبد الله حماد
باحثة وطالبة دكتوراه بالأكاديمية الليبية جنزور – ليبيا
Mmfhsh1973@gmail.com

Contemporary Visual Arts in the Digital Age: An Analytical Approach to the Interplay of Technology and Aesthetics

Batoul Yousef Abdullah Hammad
Researcher and PhD Candidate, Libyan Academy, Janzour, Libya
Mmfhsh1973@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/01/07 تاريخ المراجعة 16 / 2 / 2026 تاريخ القبول: 2026/03/09- تاريخ النشر: 03/16/ 2026

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الفنون التشكيلية المعاصرة في ظل التحول الرقمي، من خلال مقاربة تحليلية تستكشف جدلية العلاقة بين التقنية والجماليات، ويسعى إلى الكشف عن الكيفية التي أثرت بها الوسائط الرقمية والتقنيات الحديثة على بنية العمل الفني، سواء من حيث الشكل والمضمون، وعلى طبيعة التلقي والتفاعل مع العمل الفني، كما يركز البحث على التحولات التي طرأت على المفاهيم الجمالية نتيجة اندماج الفن بالتكنولوجيا، مما أدى إلى بروز أشكال فنية جديدة مثل الفن الرقمي والفن التفاعلي. ويعتمد البحث على تحليل نماذج مختارة من الأعمال الفنية المعاصرة لتوضيح أبعاد هذه الجدلية مع إبراز دور المتلقي كشريك فاعل في إنتاج المعنى داخل التجربة الفنية الرقمية.

الكلمات المفتاحية: الفنون التشكيلية المعاصرة، التحول الرقمي، الفن الرقمي، الجماليات، الفن التفاعلي، التقنية، الوسائط المتعددة، التلقي الفني.

Abstract:

This research addresses contemporary visual arts in the context of digital transformation through analytical approach that explores the dialectical relationship between technology and aesthetics. It aims to examine how digital media and modern technologies have influenced the structure of the artwork in terms of both form and content as well as the nature of audience reception and interaction. The study highlights the shifts in aesthetic concepts resulting from.

The integration of art and technology, leading the emergence of new artistic forms such as digital art and interactive art it also relies on the analysis of selected contemporary art works to demonstrate the dimensions of this dialectic, emphasizing the role of the audience as an active participant in meaning making within the digital artistic experience.

المقدمة:

شهدت الفنون التشكيلية المعاصرة تحولات جذرية نتيجة التطور التكنولوجي المتسارع. حيث لم تحدد الممارسة الفنية محصورة في الوسائط التقليدية، بل انفتحت على فضاءات رقمية جديدة أسهمت في إعادة صياغة مفاهيم الإنتاج الفني والتلقي

الجمالي وقد أدى هذا التحول إلى برز أشكال فنية تعتمد على البرمجيات والوسائط التفاعلية، والذكاء الاصطناعي، مما جعل التقنية عنصراً أساسياً في تشكيل العمل الفني.

وفي هذا السياق يشير (Manovich, 2001) إلى أن الوسائط الرقمية أحدثت تحولاً نوعياً في بنية الصورة، حيث أصبحت البرمجيات جزءاً من العملية الإبداعية، وليس مجرد أداة تنفيذ كما ترى (Paul, 2015) أن الفن الرقمي يعيد تعريف مفاهيم الأصالة والتفاعل، ويؤسس لعلاقة جديدة بين الفنان والمتلقي.

إن التحول الرقمي أحدث نقلة نوعية في الفنون التشكيلية المعاصرة، حيث أعاد تشكيل المفاهيم الجمالية وأدوار الفنان والمتلقي، وأكد أن العلاقة بين التقنية والجماليات علاقة جدلية متبادلة، تعكس طبيعة الفن في العصر الرقمي.

ومن هنا، فإن فهم هذه الجدلية يتطلب مقاربة نقدية تجمع بين البعد التقني والفلسفي والجمالي، من أجل استيعاب التحولات العميقة التي يشهدها الفن المعاصر.

مشكلة البحث:

في ظل التحول الرقمي المتسارع، شهدت الفنون التشكيلية المعاصرة تغيرات جوهرية مست بنية العمل الفني، ووسائط إنتاجه، وآليات تلقيه، فقد أدت التقنيات الرقمية إلى بروز أشكال فنية جديدة تتجاوز الأطر التقليدية، مما أثار تساؤلات عميقة حول طبيعة الجماليات الفنية وحدودها، وحول دور التقنية في تشكيل القيمة الجمالية للعمل الفني.

ورغم هذا التطور الملحوظ، لايزال هناك نوع من الغموض والإشكالية في تحديد طبيعة العلاقة بين التقنية والجماليات؛ إذ يختلف الباحثون والنقاد بين من يرى أن التقنية مجرد أداة داعمة للإبداع الفني، ومن يعتبرها عنصراً مهيمناً قد يطغى على البعد الجمالي، ويعيد تشكيله وفق منطق رقمي قد يفقد العمل عمقه الإنساني.

ومن هنا تتحدث مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤل الآتي:

إلى أي مدى أسهم التحول الرقمي في إعادة تشكيل الجماليات في الفنون التشكيلية المعاصرة؟ وما طبيعة العلاقة الجدلية بين التقنية والقيمة الجمالية في العمل الفني؟

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول إحدى أبرز القضايا المعاصرة في مجال الفنون التشكيلية، والمتمثلة في تأثير التحول الرقمي على بنية العمل الفني وجمالياته.

ويمكن إبراز أهمية البحث في النقاط التالية:

1- تحليل العلاقة بين التقنية والفن.
2- ربط الفن بالسياق الثقافي المعاصر.
3- دعم الممارسات الفنية الحديثة.
4- مواكبة التحولات الرقمية.
5- إعادة تعريف الجماليات الفنية.

أهداف البحث:

تسعى الباحثة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمنهجية، من أبرزها:

1- تحليل مفهوم التحول الرقمي في الفنون التشكيلية.
2- دراسة دور التقنية في بناء العمل الفني المعاصر.
3- الكشف عن العلاقة بين الوسيط الرقمي والخطاب الجمالي.
4- إبراز تحولات التلقي في الفن الرقمي.
5- تحديد ملامح الجماليات الرقمية.

منهجية البحث:

تتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي يستخدم لوصف ظاهرة التحول الرقمي في الفنون التشكيلية المعاصرة وتحليل تأثيرها على بنية العمل الفني وجماليته.

حدود البحث:

هي لمحة لبعض أعمال من الأعمال التشكيلية الرقمية وتحليل عناصرها التشكيلية ومقارنة الخصائص الجمالية والتقنية الرقمية بين الأعمال الفنية المختارة.

فروض البحث:

1- تفترض الباحثة في هذا البحث بأن يسهم التحول الرقمي في إعادة تشكيل القيم الجمالية في الفنون التشكيلية المعاصرة.

2- توجد علاقة جدلية بين التقنية والجماليات، حيث تؤثر التقنية في الشكل الجمالي للعمل الفني كما تتأثر بدورها برؤية الفنان.

3- تعزز التقنيات الرقمية دور المتلقي ليصبح عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى الجمالي للعمل الفني.

مصطلحات البحث:

1- التحول الرقمي (Digital Transformation): انتقال الفن من الوسائط التقليدية إلى الرقمية (Nicholas Negroponte, 1995).

2- الفن الرقمي (Digital Art): الفن المنتج باستخدام التكنولوجيا الرقمية (Christiane Paul, 2015).

3- الجماليات الرقمية (Digital Aesthetics): دراسة القيم الجمالية الناتجة عن التقنية الرقمية (Oliver Grau, 2003).

4- الخطاب البصري الرقمي (Visual Cultural Digital Discourse): منظومة الرموز والدلالات التي تنتج داخل البيئة الرقمية وتأثيرها على قراءة العمل الفني (Nicholas Mirzoeff, 2009).

5- الوسيط الفني (Artistic Medium): الأداة أو التقنية المستخدمة في إنتاج العمل الفني والتي شهدت تحولاً من مادي إلى رقمي (Rosalind Krauss, 1999).

6- التلقي الرقمي (Digital Reception): تفاعل الجمهور من الفن عبر الوسائط الرقمية (Henry Jenkins, 2006).

7- الفن التوليدي (Generative Art): فن ينتج عبر خوارزميات أو أنظمة برمجية تعمل بشكل مستقل أو شبه مستقل (Jonm Cormack, 2012).

الفنون التشكيلية المعاصرة وتحولاتها المفاهيمية:

تُعد الفنون التشكيلية المعاصرة أحد أبرز تجليات التحول الثقافي والفكري الذي شهده العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين، حيث لم يعد العمل الفني محصوراً في إطار الشكل الجمالي التقليدي، بل أصبح فضاء مفتوحاً للتفكير والتأويل وإنتاج المعنى. وقد ارتبط هذا التحول بظهور اتجاهات فنية جديدة، من أهمها الفن المفاهيمي الذي نقل مركز الاهتمام من المادة إلى الفكرة، ومن الشكل إلى الدلالة.

في هذا السياق، شكلت تجربة الفنان "مارسيل دوشامب" نقطة تحول مفصلية، خاصة من خلال أعماله الجاهزة (Ready Made) التي أعادت تعريف العمل الفني بوصفه اختياراً ذهنياً أكثر منه إنجازاً تقنياً، ومن هنا بدأ الفن يتجه نحو تحرير ذاته من القيود الأكاديمية فأصبح مجالاً للتساؤل حول ماهية الفن ذاته.

ومع تطور الفكر الفلسفي، خاصة في ظل نظريات ما بعد الحداثة التي بلورها مفكرون مثل "جان فرانسوا ليوتار"، تعززت فكرة نسبية المعنى ورفض السرديات الكبرى، الأمر الذي انعكس بشكل مباشر على الفنون التشكيلية. فلم يعد العمل الفني يقدم معنى واحداً ثابتاً، بل أصبح مفتوحاً على تعددية القراءات، ويعتمد في فهمه على السياق الثقافي والاجتماعي.

كما أسهم التطور التكنولوجي في تعميق هذا التحول، حيث ظهرت فنون الوسائط الجديدة التي توظف الفيديو، والصوت، والواقع الافتراضي، والذكاء الاصطناعي، مما أدى إلى إعادة صياغة العلاقة بين الفنان والعمل الفني، والمتلقي، ولم يعد المتلقي مجرد مشاهد سلبي، بل أصبح شريكاً في إنتاج المعنى من خلال التفاعل المباشر مع العمل.

وفي هذا الإطار برزت تجارب فنية مفاهيمية معاصرة مثل أعمال "جوزيف كوسوث" التي ركزت على العلاقة بين اللغة والمعنى، حيث يتحول النص إلى نص بصري وفكري في آن واحد وكذلك أعمال "يايوي كوساما" التي تستثمر التكرار والفضاء اللانهائي لإنتاج تجربة حسية ومفاهيمية متكاملة.

إن التحول المفاهيمي أفرز مجموعة من الخصائص التي تميز الفنون التشكيلية المعاصرة، من أبرزها تراجع أهمية المهارة التقنية لصالح الفكرة، وتعدد الوسائط التعبيرية والتأكيد على التفاعل إضافة إلى نزعة التجريد الفكري التي تجعل العمل الفني يقرأ بقدر ما يشاهد، كما اتسمت هذه الفنون بطابعها السياقي، حيث يرتبط معناها بالبيئة الثقافية والاجتماعية التي تنتج فيها.

غير أن هذا التحول لم يخل من إشكاليات نقدية إذ يرى بعض النقاد أن التركيز المفرط على المفهوم قد يؤدي إلى إقصاء البعد الجمالي، ويجعل العمل الفني عصياً على الفهم بالنسبة للجمهور العام، ومع ذلك فإن هذا الاتجاه قد أتاح للفن إمكانيات تعبيرية غير مسبوقة، وفتح أفاقاً جديدة أمام الإبداع المعاصر.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن الفنون التشكيلية المعاصرة لم تعد مجرد ممارسة جمالية، بل أصبحت خطاباً فكرياً يعكس تحولات الإنسان المعاصر، ويعبر عن قضاياه وهواجسه في عالم يتسم بالتعقيد والتعدد ومن التحول المفاهيمي لا يمثل قطيعة مع الفن التقليدي بقدر ما هو إعادة تعريف لوظيفته وحدوده في ثقافة المتغير.

التحول الرقمي وأثره في الممارسة الفنية:

يشكل التحول الرقمي أحد أبرز مظاهر التغير الحضاري المعاصر، حيث لم يقتصر تأثيره على المجالات التقنية والاقتصادية بل امتد ليطال البنية الجمالية والممارسات الفنية، خاصة في مجال الفنون التشكيلية، فقد أدى هذا التحول إلى إعادة تعريف مفهوم العمل الفني، وأدوات إنتاجه، وآليات تلقيه مما أسهم في نشوء ما يعرف بالفن الرقمي بوصفه ممارسة إبداعية قائمة على التكنولوجيا.

وفي هذا السياق، لم يعد الفنان يعتمد على الأدوات التقليدية مثل الفرشاة واللون، بل أصبح يوظف البرمجيات، والخوارزميات، وتقنيات الذكاء الاصطناعي، مما أدى إلى ظهور أنماط جديدة من التعبير الفني مثل الفن التفاعلي، وفن الواقع الافتراضي، وفن الوسائط المتعددة، ويُعد هذا التحول امتداداً لتطورات ما بعد الحداثة التي أكدت إلى تفكيك الحدود بين الفنون، وهو ما أشار إليه مفكرون مثل "جان بودريار" في حديثه في عالم المحاكاة والواقع الافتراضي.

لقد أثر التحول الرقمي بشكل مباشر في طبيعة الممارسة الفنية الرقمية، حيث انتقل الفنان من دور المنتج الفردي إلى دور المصمم والمبرمج والمنسق للتجربة الفنية، كما أصبح العمل الفني بنية مفتوحة قابلة للتحديث والتفاعل، وليس منتجاً نهائياً ثابتاً.

وفي هذا الإطار يبرز مفهوم "التفاعلية" كأحد أهم خصائص الفن الرقمي، حيث يسهم المتلقي في تشكيل العمل من خلال التفاعل معه.

ومن جهة أخرى أتاح التحول الرقمي إمكانيات غير مسبوقة في إنتاج الصور وتداولها، مما أدى إلى ديمقراطية الفن وإتاحته لجمهور أوسع عبر المنصات الرقمية. كما ظهرت مفاهيم جديدة مثل الفن التوليدي (Generative Art) الذي يعتمد على الخوارزميات في إنتاج العمل الفني، مما يطرح تساؤلات حول دور الفنان وحدود الإبداع الإنساني في ظل تدخل الآلة.

كما أسهمت البيئة الرقمية في إعادة تشكيل العلاقة بين الزمان والمكان داخل العمل الفني، حيث لم يعد العمل الفني مرتبطاً بمكان عرض محدد بل أصبح قابلاً للانتشار عبر الفضاء الافتراضي، وهذا ما أشار إليه "ليف مانوفيتش" في تحليله لخصائص الوسائط الجديدة حيث أكد على التحول من الثبات إلى الديناميكية ومن الخطية إلى التفاعلية.

ورغم الإيجابيات التي أتاحها التحول الرقمي، إلا أنه يطرح مجموعة من الإشكاليات، من أبرزها فقدان "الأصالة" بالمعنى التقليدي، وسهولة الاستنساخ، إضافة إلى تحديات الحفظ والأرشفة الرقمية، كما يثير تساؤلات نقدية حول العلاقة بين الفن والتكنولوجيا، وهل أصبحت التقنية هي المحدد الأساسي للعمل الفني على حساب الرؤية الجمالية.

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن التحول الرقمي لم يحدث مجرد تغيير في أدوات الفن، بل أحدث تحولاً عميقاً في فلسفة الممارسة الفنية ذاتها، حيث أصبح الفن مجالاً تفاعلياً مفتوحاً، يتداخل فيه الإبداع الإنساني مع الإمكانيات التقنية، في إطار من التعدد والانفتاح.

الجماليات في الفن المعاصر:

تُعد الجماليات في الفن المعاصر من المفاهيم التي شهدت تحولاً جذرياً نتيجة التغيرات الفكرية والثقافية والتكنولوجية التي أثرت في بنية العمل الفني ووظيفته. فلم يعد الجمال في هذا السياق مرادفاً للانسجام الشكلي أو الكمال البصري كما كان في الفنون الكلاسيكية بل أصبح مفهوماً مفتوحاً يتجاوز حدود الشكل ليشمل الفكرة، والسياق، والتجربة.

في هذا الإطار، ارتبطت الجماليات المعاصرة بظهور الفن المفاهيمي الذي أعاد تعريف الجمال بوصفه ناتجاً للفكرة وليس مجرد خاصية شكلية. فقد أصبح العمل الفني يُقاس بقدرته على إثارة التساؤل وإنتاج المعنى، وليس فقط بمدى توافق عناصره البصرية. وقد أسهم فنانون مثل "جوزيف كوسوث" في ترسيخ هذا التوجه، حيث ركزت أعماله على العلاقة بين اللغة والفن، مما جعل الجمال يتجلى في البنية الفكرية للعمل.

ومع تطور الفكر ما بعد الحداثي، خاصة لدى "جان فرانسوا ليونار" تم تفكيك مفهوم الجمال الكلي، واستبداله بتعددية جمالية تعترف بالاختلاف والتنوع وهنا لم يعد هناك معيار واحد للحكم الجمالي، بل تعددت الأذواق وتنوعت المرجعيات، مما جعل الجمال مفهوماً نسبياً يرتبط بالسياق الثقافي والاجتماعي. كما لعب التحول الرقمي دوراً محورياً في إعادة تشكيل الجماليات، حيث ظهرت أنماط جديدة مثل الجماليات الرقمية والجماليات التفاعلية، وجماليات "الخلل" (Glitch Aesthetic)، التي تختص بالخطأ التقني بوصفه قيمة جمالية، وفي هذا السياق، يشير "ليف مانوفيتش" إلى أن الوسائط الرقمية قد غيرت من طبيعة الصورة، وجعلتها قابلة للتعديل والتكرار، مما أثر في إدراكنا للجمال.

ومن جهة أخرى، لم تعد الجماليات في الفن المعاصر مرتبطة فقط بما هو "جميل" بالمعنى التقليدي، بل أصبحت تشمل ما هو صادم، أو غريب، أو حتى مزعج. فبعض الأعمال الفنية تسعى إلى إحداث صدمة بصرية أو فكرية، بهدف تحفيز المتلقي على التفكير، وهو ما يجعل الجمال يتجلى في الأثر الذي يتركه العمل، وليس في شكله الظاهري.

كما برزت مفاهيم مثل "الجماليات العلائقية" التي طرحها "نيكولاس بوريود" حيث ينظر إلى العمل الفني بوصفه فضاءً للتفاعل الاجتماعي، ويكمن جماله في العلاقات التي ينتجها بين الأفراد، وليس في مادته فقط.

وفي هذا السياق، يمكن القول إن الجماليات المعاصرة تتسم بعدة خصائص، من أبرزها:

- **التعددية:** غياب معيار جمالي واحد.
- **التفاعلية:** مشاركة المتلقي في إنتاج المعنى.
- **السياقية:** ارتباط الجمال بالبيئة الثقافية.
- **التحول الرقمي:** تأثير التكنولوجيا في تشكيل الجمال.
- **التجريب:** الانفتاح على أشكال ووسائط جديدة.

إن الجماليات في الفن المعاصر لم تعد مفهوماً ثابتاً أو محصوراً في حدود الشكل، بل أصبحت تجربة مركبة تجمع بين الفكر والإحساس والتفاعل. فهي جماليات مفتوحة، تعكس تعقيد العالم المعاصر، وتدعو المتلقي إلى المشاركة في بناء المعنى، بدلاً من الاكتفاء بتلقيه.

جدلية التقنية والجماليات في الفنون التشكيلية:

تتجلى جدلية التقنية والجماليات في الفنون التشكيلية بوصفها علاقة مركبة تتجاوز حدود الاستخدام الأداتي للتقنية، لتغدو بنية فكرية وجمالية تعيد صياغة مفهوم العمل الفني ذاته.

فالتقنية لم تعد مجرد وسيلة محايدة في يد الفنان، بل تحوَّلت إلى عنصر فاعل يشارك في إنتاج المعنى وتشكيل التجربة البصرية، ومن هنا، تنشأ هذه الجدلية التي تقوم على التفاعل المستمر بين ما هو مادي/تقني وما هو حسي/جمالي، حيث يؤثر كل طرف في الآخر ويعيد تشكيله.

في السياق التاريخي، كانت التقنية في الفنون التقليدية خاضعة بشكل شبه كامل للجماليات، إذ اقتصرت وظيفتها على خدمة التعبير الفني وتعزيز المهارة اليدوية، سواء في الرسم أو النحت أو الحفر. غير أن هذا التوازن بدأ يتغيّر تدريجياً مع ظهور الحداثة، حيث أخذ الفنانون في استكشاف إمكانات تقنية جديدة، كما في تجارب (Pablo Picasso) الذي وظف تقنيات الكولاج والتفكيك البصري لإعادة بناء الشكل وفق رؤية جمالية لإعادة التفكير في بنية العمل الفني.

ومع تطور الوسائط التكنولوجية في العصر المعاصر، بلغت هذه الجدلية ذروتها، حيث دخلت البرمجيات، والوسائط الرقمية، والذكاء الاصطناعي في صلب العملية الإبداعية.

وفي هذا الإطار، يشير (Walter Benjamin) إلى أن التحول التقني، خاصة مع قابلية إعادة الإنتاج، قد أدى إلى تآكل "هالة" العمل الفني، أي تلك الخصوصية المرتبطة بأصالته وحضوره الفريد، غير أن هذا التحول لم يكن سلبياً بالكامل، بل أتاح إمكانيات جمالية جديدة، نقلت الفن من كونه موضوعاً للتأمل إلى تجربة تفاعلية متعددة الأبعاد.

وفي هذا السياق، يبرز دور المنظّرين المعاصرين مثل (Manovich Lev) الذي يرى أن الوسيط الرقمي لا يقتصر على نقل الشكل، بل يعيد إنتاجه عبر بنى خوارزمية تجعل من البرمجة نفسها عنصراً جمالياً، فالجمال لم يعد مرتبطاً فقط بالتكوين أو اللون أو الكتلة، بل أصبح أيضاً نتاجاً للعمليات الحسابية، والتفاعل والزمن الرقمي.

وتتخذ هذه الجدلية في الفن المعاصر أشكالاً متعددة؛ فقد تكون علاقة تكامل، حيث تعزز التقنية من القيم الجمالية وتفتح أفاقاً جديدة للتعبير، كما في الفن التفاعلي والواقع الافتراضي. وقد تتحول إلى علاقة توتر، عندما تطغى التقنية على البعد الإنساني، فتفقد الأعمال عمقها التعبيري لصالح الإبهار التقني، كما قد تؤدي إلى إعادة تعريف الجمال ذاته، بحيث لم يعد مرتبطاً بالمقاييس الكلاسيكية، بل أصبح مفهوماً مفتوحاً يتشكل وفق السياق الرقمي والتجربة الحسية الجديدة.

ومن جهة أخرى، تطرح هذه العلاقة إشكاليات نقدية عميقة، تتعلق بمسألة الأصالة، وحدود الإبداع، ودور الفنان في ظل حضور الآلة، فهل يظل الفنان هو المبدع الحقيقي، أم أن التقنية أصبحت شريكاً أو حتى بديلاً في إنتاج العمل الفني؟ وهل يمكن الحديث عن جماليات إنسانية خالصة في ظل هيمنة الأنظمة الرقمية؟

في ضوء ذلك، يمكن القول إن جدلية التقنية والجماليات ليست صراعاً بقدر ما هي علاقة ديناميكية قائمة على التفاعل والتحول المستمر، فالتقنية تعيد تشكيل الجمال، والجمال يمنح التقنية بعدها الإنساني، ومن هذا التداخل، ينبثق الفن المعاصر بوصفه مجالاً مفتوحاً للتجريب، يعكس تحولات العصر، ويعيد تعريف حدود الإبداع والتلقي في آن واحد.

التفاعل ودور المتلقي في الفن الرقمي:

يشكل التفاعل في الفن الرقمي تحولاً نوعياً في طبيعة العلاقة بين العمل الفني والمتلقي، حيث لم يعد هذا الأخير يقف موقف المشاهد السلبي، بل أصبح عنصراً فاعلاً يساهم في تشكيل التجربة الجمالية وإنتاج دلالاتها. فالفن الرقمي، بما يوفره

من وسائط تكنولوجية متقدمة، أتاح إمكانيات غير مسبوقة لإدماج المتلقي داخل بنية العمل، بحيث يغدو حضوره شرطاً أساسياً لاكتماله.

لقد ارتبط الفن التقليدي عبر تاريخه بفكرة التلقي القائم على التأمل البصري، حيث كان العمل الفني يعرض بوصفه كياناً مكتملاً يحمل معناه في داخله، ويقتصر دور المتلقي على فك شفراته وتأويل رموزه، غير أن هذا التصور بدأ في التغير تدريجياً مع التحولات التي شهدها الفن المعاصر ، ليبلغ ذروته في الفن الرقمي، حيث أصبح العمل الفني نظاماً مفتوحاً يتغير وفق تفاعل المستخدم، وهنا، لم يعد المعنى ثابتاً، بل أصبح متحولاً، يتشكل لحظة التفاعل، ويتعدد المتلقين.

في هذا السياق، يبرز مفهوم "الجماليات العلائقية" الذي طرحه (Nicolas Bourriaud) والذي يؤكد أن العمل الفني المعاصر لم يعد قائماً على إنتاج موضوع جمالي مستقل، بل على خلق فضاءات للتفاعل والعلاقات الإنسانية. فالقيمة الجمالية لم تعد تقاس فقط بما يقدمه العمل من شكل أو مضمون، بل بما يتيحه من إمكانيات للتواصل والمشاركة. ومن هنا، يصبح المتلقي شريكاً في التجربة، وليس مجرد متفرج عليها.

كما يتقاطع التحول مع ما أشار إليه (Umberto Eco) في مفهوم "العمل المفتوح" حيث يظل العمل الفني قابلاً لتعدد القراءات والتأويلات، تبعاً لاختلاف السياقات والتجارب الفردية.

غير أن الفن الرقمي يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ لا يكتفي بتعدد التأويل، بل يتيح للمتلقي التدخل المباشر في بنية العمل، سواء عبر الحركة أو اللمس أو الصوت، مما يؤدي إلى إنتاج نسخ متغيرة من العمل ذاته.

وفي ظل هذه التحولات، تغيرت طبيعة التجربة الجمالية من كونها تجربة تأملية إلى تجربة تفاعلية غامرة، تعتمد على الانخراط الحسي والزماني للمتلقي، فالتقنيات مثل الواقع الافتراضي والواقع المعزز جعلت من الممكن أن يعيش المتلقي داخل العمل الفني، لا أن يكتفي بمشاهدته من الخارج، وبهذا، أصبح التفاعل عنصر جمالياً بحد ذاته، حيث تتحدد قيمة العمل بقدرته على الاستجابة وإشراك المتلقي في مساراته.

غير أن هذا الدور الجديد للمتلقي يطرح إشكاليات نقدية تتعلق بحدود الإبداع الفني، وموقع الفنان داخل العملية الإبداعية، فإذا كان المتلقي يشارك في تشكيل العمل، فهل يظل الفنان هو المبدع الوحيد؟ أم أن العمل يصبح نتاجاً جماعياً تتداخل فيه أدوار متعددة؟ كما يثير هذا التحول تساؤلات حول عمق التجربة الجمالية، خاصة في ظل هيمنة البعد التقني، الذي قد يطغى أحياناً على البعد التعبيري.

وعلى الرغم من هذه الإشكاليات يمكن القول إن التفاعل في الفن الرقمي قد أسهم في إعادة تعريف مفهوم التلقي، بحيث لم يعد فعلاً سلبياً، بل ممارسة إبداعية قائمة بذاتها فالمتلقي لم يعد يكتفي بفهم العمل، بل يشارك في بنائه، مما يجعل التجربة الجمالية أكثر حيوية وانفتاحاً، ومن هذا المنطلق، يغدو الفن الرقمي فضاء ديناميكياً تتقاطع فيه أدوار الفنان والمتلقي والتقنية في علاقة جدلية تعكس روح العصر وتحولاته.

تحليل نماذج من الفنون التشكيلية الرقمية:

1- الفنان بيبيلوتي ريست (Pipilotti Rist):

يقدم أعمالاً فيديوية غامرة تعرض على الجدران والأسقف، حيث يندمج الصوت والصورة في فضاء بصري شامل مع توظيف تقنيات العرض الرقمي (Mapping Projection) والصوت المحيطي، جمالياً: خلق تجربة حسية شاملة (انغماس) تتجاوز حدود اللوحة التقليدية. دلالياً التقنية هنا تعيد توسع الفضاء الفني وتحوله إلى تجربة معيشة.

2– الفنان ترافيس جيرنيغان (Travis Gengerich) فنان مماثل في الفن الخوارزمي:

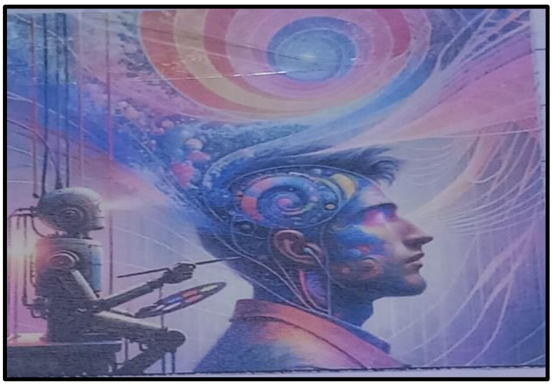

هذا العمل يعتمد على الخوارزميات والبرمجة في إنتاج

أعمال فنية تتولد تلقائياً وفق قواعد رياضية كما استخدم الفنان البرمجة والخوارزميات كأداة إنتاج جمالياً ظهور أنماط هندسية وتنظيمات بصرية معقدة ناتجة عن العمليات الحسابية ومن الناحية الجدلية يتحول الفنان من "منتج مباشر" إلى "مبرمج للنتيجة الجمالية".

3– الفنان مرافيس أغناس (Team Lab مجموعة فنية رقمية):

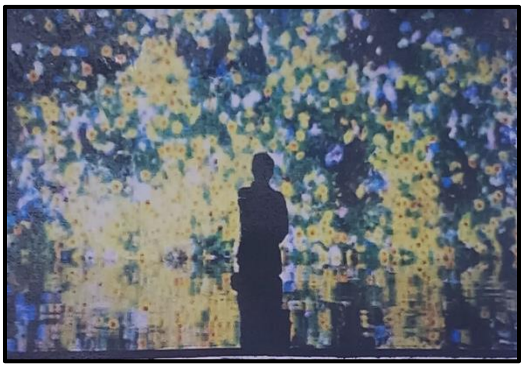

وصف العمل مجموعة فنية يابانية تقدم معارض رقمية

تفاعلية تعتمد على الإسقاط الضوئي والتفاعل مع الزوار، ومن ناحية التقنية دمج البرمجة، الإسقاط الضوئي والحساسات التفاعلية، جمالياً بيئات بصرية متغيرة باستمرار تتأثر بحركة الجمهور دلالة العمل الفني تصبح نظاماً حياً متغيراً وليس منتجاً ثابتاً.

4– الفنان رافائيل لوزانو – هيمر (Lozano – Hemmer Rafael):

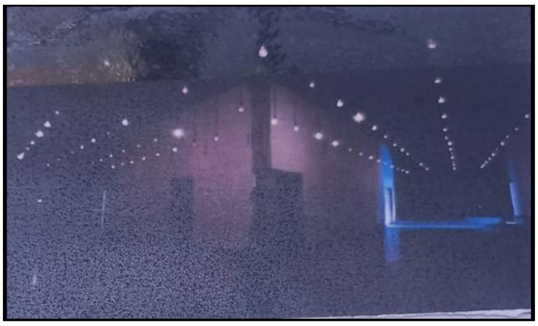

يعتمد الفنان على تقنيات رقمية تفاعلية مثل الاستشعار الحيوي (النبض، الصوت، الحركة) لخلق أعمال فنية تتفاعل

مباشرة مع الجمهور، مثل عمل (Pulse Room) الذي يحول نبضات الزوار إلى إضاءة لمبات متحركة تقنياً استخدم حساسات + برمجيات + أنظمة تفاعل لحظي ومن الناحية الجمالية يتحول النبض البشري إلى عنصر بصري ضوئي، مما يخلق جمالية قائمة على المشاركة والزمن الحقيقي، التقنية هنا ليست وسيلة فقط، بل هي التي تنتج الشكل الجمالي نفسه.

5- الفنان (Beeple):

يمثل عمل (Beeple) تحولاً جذرياً في مفهوم الوسيط الفني، حيث يعتمد على البرمجيات والتصميم الرقمي كوسيلة للإنتاج الفني. ويتجلى هذا التحول في غياب المادة التقليدية، مقابل حضور الشاشة كفضاء بصري بديل. جمالياً يعتمد العمل على التراكم البصري والتكرار، مما يعكس تأثير الزمن الرقمي، وتسارع الإنتاج، كما أن التكوينات المعقدة تعكس حالة من التشظي البصري المرتبط بالعصر التكنولوجي، الوسيط الرقمي هنا ليس مجرد أداة، بل هويته تشكيلية تؤسس لجمالية جديدة.

6- تحليل نماذج من الفنون التشكيلية الرقمية:

1- الفن التوليدي (Art Generative):

يعتمد هذا النوع من الفن على الخوارزميات والبرمجة في إنتاج أشكال بصرية متغيرة، حيث يقوم الفنان بكتابة كود برمجي يسمح للنظام بإنتاج العمل الفني بشكل تلقائي أو شبه تلقائي، يعتمد تقنية العمل على البرمجة والذكاء الاصطناعي، مما يجعل التقنية عنصراً منتجاً وليس مجرد أداة، ومن الناحية الجمالية يتسم العمل بالتكرار، والتعقيد، والديناميكية، حيث تتولد أشكال غير متوقعة تعكس جماليات رياضية وخوارزمية، يبرز هذا النموذج من ناحية الدلالة كيف تتحول التقنية إلى شريك إبداعي، حيث تتداخل إرادة الفنان مع منطق الآلة، مما يطرح تساؤلات حول مصدر الجمال: الخوارزميات.

2- الفن التفاعلي (Art Interactive):

عمل فني يعتمد على تفاعل الجمهور، حيث يتغير الشكل أو المحتوى بناء على حركة أو لمس أو صوت المتلقي، يستخدم تقنية مستشعرات الحركة، والبرمجيات التفاعلية، وأنظمة العرض الرقمي، تقوم الجمالية هنا على التجربة وليس الشكل فقط، حيث يصبح التفاعل جزءاً من القيمة الجمالية، يؤكد هذا النموذج أن دلالة التقنية أعادت تعريف الجمال بوصفه تجربة مشتركة بين الفنان والمتلقي، وليس منتجاً نهائياً.

3- فن الواقع الافتراضي (Virtual Reality Art):

يتمثل في أعمال فنية تعرض داخل بيئات افتراضية ثلاثية الأبعاد، حيث يمكن للمتلقي الدخول والتفاعل داخل العمل الفني، ويعتمد على تقنيات الواقع الافتراضي، والنمذجة ثلاثة الأبعاد، جمالياً يتميز بالانغماس (Immersion)، حيث يعيش المتلقي داخل العمل الفني بدلاً من مشاهدته فقط. دلالياً تصل العلاقة بين التقنية والجماليات هنا إلى ذروتها، حيث تصبح التقنية هي الفضاء الذي تبنى داخله التجربة الجمالية.

4- فن الذكاء الاصطناعي:

أعمال فنية يتم إنتاجها باستخدام خوارزميات الذكاء الاصطناعي، التي تتعلم من بيانات بصرية سابقة لتوليد صور جديدة، يعتمد على الشبكات العصبية والتعلم العميق، جمالياً يتميز بالغموض والتركيب غير المتوقع، ويمزج بين أنماط فنية متعددة، دلالياً يثير هذا النوع سؤالاً فلسفياً عميقاً حول الإبداع: هل يمكن للآلة أن تنتج جمالاً؟ أم أن الجمال يظل مرتبطاً بالوعي الإنساني؟

تكشف النماذج السابقة أن التحول الرقمي لم يغيّر فقط أدوات الفن، بل أعاد تشكيل بنيته الجمالية والفكرية، حيث أصبحت التقنية عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى الجمالي، كما يتضح أن العلاقة بين التقنية والجماليات علاقة جدلية معقدة، تتراوح بين التكامل والصراع، مما يعكس طبيعة الفن المعاصر كحقل مفتوح على التحولات التكنولوجية.

نتائج البحث:

توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

1- أسهم التحول الرقمي في إعادة تشكيل بنية الفنون التشكيلية المعاصرة من حيث الوسيط، والأسلوب، وآليات الإنتاج والعرض.
2- أدى إدماج التقنيات الرقمية إلى ظهور جماليات جديدة تختلف عن الجماليات التقليدية، حيث أصبحت تعتمد على التفاعل، والإنغماس، والحركة والافتراضية.
3- تتسم العلاقة بين التقنية والجماليات بالطابع الجدلي، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، بل يتبادلان التأثير داخل العمل الفني.
4- تحول دور الفنان من منتج تقليدي إلى فاعل تقني إبداعي يجمع بين المعرفة الفنية والقدرة على توظيف الأدوات الرقمية.
5- تغيير دور المتلقي من مشاهد سلبي إلى مشارك فعّال في إنتاج المعنى الجمالي، خاصة في الفنون التفاعلية.
6- أدت التقنيات الرقمية إلى توسيع فضاءات العرض الفني لتشكل البيئات الافتراضية والمعارض الرقمية.
7- أصبح العمل الفني في البيئة الرقمية كياناً متغيراً وغير نهائي، يخضع للتحديث والتفاعل المستمر.
8- أظهرت النماذج التطبيقية أن التقنية لم تعد مجرد وسيلة مساعدة، بل أصبحت عنصراً أساسياً في تشكيل القيمة الجمالية للعمل الفني.

التوصيات:

1- توصي الباحثة بتشجيع الفنانين على توظيف التقنيات الرقمية في إنتاج أعمالهم الفنية بما يتماشى مع متطلبات العصر.
2- إدراج مقررات دراسية متخصصة في الفنون الرقمية ضمن مناهج كليات الفنون والتربية الفنية.
3- تعزيز البحث العلمي في مجال الفنون التشكيلية الرقمية ودراسة تأثيراتها الجمالية والتقنية بشكل أعمق.
4- تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية لتنمية مهارات الفنانين في استخدام البرامج والتقنيات الحديثة.
5- دعم المعارض الفنية الرقمية والتفاعلية لإتاحة الفرصة لعرض هذه النوعية من الأعمال أمام الجمهور.
6- الاهتمام بدراسة العلاقة بين الإنسان والتقنية في الفن من منظور نقدي وفلسفي، لما لها من أثر على مستقبل الإبداع الفني.
7- تشجيع التكامل بين التخصصات (الفن، التكنولوجيا، التصميم، البرمجة) لإنتاج أعمال فنية مبتكرة.
8- الحفاظ على البعد الجمالي والإنساني في الأعمال الرقمية والتوازن بين التقنية والقيمة الفنية.

المراجع:

أولاً- المراجع العربية (Arabic References):

1- إبراهيم، زكريا. (2007). مشكلة الفن: دراسة فلسفية جمالية. القاهرة: مكتبة مصر.

2- العشماوي، محمد. (2012). مدخل إلى علم الجمال. القاهرة: دار الشروق.

3- عبد الله، أحمد. (2015). الفن الرقمي: المفاهيم والتطبيقات. القاهرة: دار الفكر العربي.

4- عبد الحميد، شريف. (2018). الفن المعاصر والتحولات التكنولوجية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

5- صالح، محمود. (2019). الفنون التشكيلية في عصر الرقمنة. عمان: دار اليازوري العلمية.

6- هربرت ريد. (1986). معنى الفن. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7- نيكولاس بوريود. (1998). الجماليات العلائقية Les Presses du Reel.

8- ليف مانوفيتش. (2001). لغة الوسائط الجديدة Mit Press.

9- هال فوستر. (1996). عودة الواقعي Mit Press.

10- روزاليند كراوس. (1985). الأصالة والطليعة Mit Press.

11- رأي الباحثة البتول يوسف حماد.

ثانياً- المراجع الأجنبية (English References):

12- Benjamin, W. (2008). The Work of Art in the Age of Mechanical Reproduction, Harvard University Press.

13- Carroll, N. (1999). Philosophy of Art Routledge.

14- Grau, O. (2003). Virtual Art: From Illusion to Immersion. MIT Press.

15- Manovich, L. (2001). The Language of New Media. MIT Press.

16- Negroponte, N. (1995). Being Digital. Knopf.

17- Paul, C. (2015). Digital Art. Thames & Hudson.

18- Smith, T. (2009). Whatis Contemporary Art University of Chicago Press.